المسكوت عنه كبنية سردية ودلالية في رواية "حيزيا" لواسيني الأعرج

Le non-dit comme structure narrative et sémantique dans le roman "Haiziya" de Waciny Laredj

The Unspoken as a Narrative and Semantic Structure in the Novel “Hayzia” by Wassini Al-Araj

زاهية بوجناح[1*]

تاريخ الإرسال: 12/09/2025 تاريخ القبول: 15/11/2025 تاريخ النشر: 30/03/2026

ملخص:

سنحاول في ورقتنا البحثية أن نغوص في ثنايا "رواية حيزيا"، بهدف الكشف عن وظائف المسكوت عنه، ليس كمساحات صامتة أو غائبة عن النّص، بل كبنية سردية ودلالية فاعلة تسهم في بناء الرواية وتشكيل دلالاتها العميقة. سنتطرق في دراستنا لطريقة تمظهر المسكوت عنه، وكيف يؤثر في تشكيل البنية السردية للنّص الرّوائي. وعليه سنسعى إلى تحليل آليات الصمت، التلميح، الإيحاء وكلّ ما لا يصرح به بشكل مباشر، مع التركيز على الموضوعات الحساسة والطابوهات الاجتماعية الّتي غالبا ما تحاط بالصمت في المجتمع الجزائري. عطفا على ما سبق توصلت ورقتنا البحثية إلى جملة من النتائج أبرزها أنّ تقنية المسكوت عنه ليست عنصرا ثانويا أو مجرّد خيار جمالي، بل هي ركيزة أساسية في بنية الرواية المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: المسكوت عنه؛ التقنيات السردية؛ الدلالة؛

Abstract :

in this research paper, we will try to dive into the folds of “Hayzia” novel, aiming to uncover the functions of the unspoken not as silent or absent spaces in the text, but as an active narrative and sematic structure that contributes in constructing the novel and shaping its deep meanings. We will address, in this paper, how the unspoken is manifested and how it influences the formation of the narrative structure of the novel text. Hence, we will seek to analyse the mechanisms of silence, allusion, hinting, and all what is not directly stated, focusing on sensitive topics and social taboos that are often surrounded by silence in the Algerian society. Building upon what has been previously discussed, our research paper has arrived at several conclusions, most notably that the technique of the unsaid is not a secondary element or merely an aesthetic choice, but rather a fundamental pillar in the structure of the contemporary novel.

Keywords: the unspoken; narrative techniques; meaning

Résumé :

Dans cet article, nous tenterons d'explorer le roman "Haiziya" afin de révéler les fonctions du non-dit, non pas comme des espaces silencieux ou absents du texte, mais comme une structure narrative et sémantique active qui contribue à la construction du roman et à la formation de ses significations profondes. Notre étude abordera la manière dont le non-dit se manifeste et comment il affecte la formation de la structure narrative du texte romanesque. Nous nous efforcerons donc d'analyser les mécanismes du silence, de l'allusion, de la suggestion et de tout ce qui n'est pas directement énoncé, en nous concentrant sur les thèmes sensibles et les tabous sociaux qui sont souvent entourés de silence dans la société algérienne. Suite à ce qui précède, notre article de

1* المؤلف المراسل

Zahia Boudjenah, University of Mouloud Maamri Tizi Ouzou, Discourse Analysis Labo zahia.boudjenah@ummto.dz

recherche est parvenu à un certain nombre de résultats, dont le plus important est que la technique du non-dit n'est pas un élément secondaire ni un simple choix esthétique, mais constitue un pilier fondamental dans la structure du roman contemporain .
Mots clés : Le non-dit ;Techniques narratives ; Sémantique.

مقدمة

كانت الرواية ولا تزال من أرقى الفنون الأدبية الّتي تعبّر عن انشغالات الأفراد وأحاسيسهم، بحيث عبّرت عن المكبوتات وأفصحت عن المشاكل الّتي يواجهها الفرد في حياته ومجتمعه، ذلك أنّ التعبير بواسطة الكتابة يشير إلى التجربة الدّاخلية الذّاتية، ومجمل الرؤى المتكونة لدى الشخص حول القضية المتناولة. ويعدّ واسيني الأعرج من بين الأقلام الإبداعية الّتي عبّرت عن القضايا بمختلف أنواعها؛ فتجلّت تجربته الروائية كنسيج فنّي يمزج بين عمق الرؤية التاريخية وجمالية السرد، مبحرا في أغوار الذاكرة الفردية والجماعية.

اشتغل الروائي الجزائري "واسيني الأعرج" على استنطاق المسكوت عنه، وعبّر عنه بأسلوب يتسم بالرّقي والشفافية، وفي هذا السياق تبرز روايته "حيزيا" كمعلم فارق في مسيرته الأدبية، حيث تعيد إحياء قصة الأسطورة "حيزيا" الّتي تداولها الجميع، لتقدّمها من منظور جديد يجمع بين الحقيقة والخيال، وبين الألم والأمل. ولقد نجح الأعرج ببراعة في استحضار روح العصر الّذي عاشته حيزيا، مسلّطا الضوء على التحديات الّتي واجهتها المرأة في مجتمعها، وأحداث الرواية ليست مجرّد قصة حب مأساوية، بل هي رحلة في عمق الهوية الجزائرية، وعليه تتمحور إشكالية هذه الدراسة حول الكيفية الّتي وظّف بها واسيني الأعرج المسكوت عنه في الرواية، وسنحاول الإجابة عن مجموعة من التساؤلات المتمثلة في:

- ✓ كيف تمظهر المسكوت عنه في رواية حيزيا؟ وما آلياته الفنيّة؟
- ✓ كيف يشارك المسكوت عنه في تشكيل رؤية الكاتب للعالم والشخصيات ويدفع القارئ إلى استنتاج الدلالات الخفية؟
- ✓ ما الوظائف الّتي يؤديها هذا الصمت أو الغياب الظاهري في بناء المعنى وتعميق الفهم لدى المتلقي؟

1-المسكوت عنه والبناء السردي.

اقتحم الكتّاب الجزائريون مجال الكتابة في الممنوعات والقضايا الّتي رُفض الإفصاح عنها فيما مضى، بحيث لجأ الأدباء إلى توظيف الثالوث المحرم في أعمالهم الإبداعية للتعبير عن القضايا الأكثر جرأة، وذلك من أجل الكشف عن المستور سواء بالتصريح أو التلميح، ويعدّ المسكوت عنه في الرواية الجزائرية المعاصرة من بين أهمّ القضايا الإشكالية المعاصرة، ولقد أضحت الرواية مرآة عاكسة للسياسة والأخلاق والدّين والجنس والمجتمع، وعليه شغلت الخطابات الروائية حيّزا واسعا

في طرح مختلف وجهات النظر السائدة في المجتمع، والّتي تحكمها مجموعة من القوانين الّتي سنتها الجماعة وفرضت احترامها وضرورة العمل بها.

تعددت المستويات الّتي مارس فيها الكاتب تقنية المسكوت عنه، فواسيني لم يوظّفه _المسكوت عنه_ كغياب في النّص؛ بل جسّده كبينية سردية ودلالية فاعلة أسهمت في بناء المعنى وتوسيع آفاق التأويل لدى المتلقي. وأولى تمظهرات المسكوت عنه كانت على مستوى الشخصيات بحكم أنّها "واسطة العقد بين جميع المشكلات الأخرى، حيث أنّها هي الّتي تصطنع اللّغة، وهي الّتي تبثّ أو تستقبل الحوار، وهي الّتي تصطنع المناجاة... وهي الّتي تعمر المكان... وهي الّتي تتفاعل مع الزمن فتمنحه معنى جديدا" (مرتاض، د ت، صفحة 91)، فالشخصية تمثل العمود الفقري المحرّك للأحداث المعبّرة عن أفكار الكاتب.

لم يكن المسكوت عنه على مستوى الشخصيات مجرّد غياب للمعلومات؛ بل كان حضورا خفيّا أثّر في ديناميكية الشخصية وعلاقاتها وسير الأحداث، بحيث تداخلت الأبعاد النّفسية والاجتماعية والتاريخية لتصنع عوالم داخلية معقّدة. ولقد كانت "حيزيا" أكثر الشخصيات الّتي مارست تقنية المسكوت عنه في النّص الروائي بحكم أنّها بطلة الرواية الّتي تأسست عليها الأحداث، وجسدت ذلك في كثير من المواقف ولعلّ أبرزها صمت "حيزيا" حول مشاعرها والعلاقة الّتي تربطها بابن عمها "سعيد"، وهو ما تبيّن في الحوار الّذي جرى بينهما:

"... أنا أمشي معك لا مشكلة. فكرت أن تقول له إنها سعيدة بكلّ ما يخرج من فمّه وإن قلبها كلما غاب ذبل وتعطل عن الحياة، ولكنها خجلت. هي لا تعرف ما هي تلك الضوابط الّتي تمنعها أحيانا حتى من الكلام، وفي أحيان أخرى، تنكسر كل الحدود، فتبحث عنه، وتقول له كلّ ما في قلبها" (الأعرج، 2023، صفحة 212).

عبّرت حيزيا عن التذبذب والحيرة الّتي تغمرها في لقائها بالسعيد، حيث تجد نفسها أمام تضارب الأفكار، بين الّتي تدعوها للثناء على تصرفاته والاعتراف بجميل الإحساس الّذي ينتابها حين تلتقيه، وبين الصمت الّذي يجتاحها ويمنعها من التعبير عن ما يدور في ذهنها وما تشعر به.

مارست "حيزيا" أيضا تقنية الصمت أو تغييب الأحداث في النقاش الّذي جرى بينها وبين والدتها، وذلك تفاديا لإثارة خوف أمّها، والحفاظ على صورتها أمام القيود الّتي تفرضها التقاليد الاجتماعية، ووضّحت ذلك عندما سألتها أمها وردت عليها:

"... حكت معها عن تأخر الدورة. سؤال أمها كان مباشرا:

درت حاجة مع ولد عمك؟

لا. لا. ما رانيش مهبولة والدي ووضعه الاجتماعي، وتهمني حياتي.

فكرت أن تحكي لها عن كل التفاصيل، لكنها خافت من صرخاتها الّتي تقلب الأموات في قبورهم

شوفي شوفي مليح، بنات اليوم ما عندكم مشكلة في أن تكون عزبة.

يا ودّي مازلت عزباء. ما مسّني حتى رجل" (الأعرج، 2023، صفحة 267).

جاء الحوار في سياق النقاش المتبادل بين حيزيا ووالدها حول ضرورة الفصل في قضية الزوج واختيار الرجل الّذي ستبني معه حياتها الزوجية، وذلك حفاظا على سمعتها وسمعة العائلة، وهذا ما جعل حيزيا تنتابها نوبة خوف وهلع عن ما إذا كان والدها قد سمع بالعلاقة الّتي تجمع بينها وبين ابن عمها السعيد، مما جعلها تطرح العديد من التساؤلات لتتأكد من معرفة والدها بالوضع، أم أنّ ذلك كله كان مجرّد تخمينات لا أكثر. فمن خلال الاعتراف الّذي أدلت به "حيزيا" يتبيّن لنا الجانب المخفي من القضية، وهو **إقامة علاقة جنسية** مع ابن عمها السعيد، ولمحت له بتعرضها لموضوع تأخر الدورة الشهرية الّذي يحيل إلى أنّها حامل. ورغم ذلك تتنكر للأمر وتنفي اقتراب الرجل إليها والمساس بشرفها، وذلك خوفا من والديها وكذلك من نظرة المجتمع إليها. فالمجتمعات المحافظة حصرت شرف المرأة في غشاء البكارة الّذي يؤكد على عزوبية الطفلة، وهو الموضوع الّذي خاضت فيه نوال السعداوي الّتي ترى أنّ التخلف الذهني الّذي يعاني منه البشر نتيجة حصرهم لشرف المرأة في غشاء البكارة، هو أنّ "أغلب النّاس يجهلون الكثير عن ذلك الشيء الّذي اسمه غشاء البكارة، ويعتقدون أنّ كلّ بنت لا بدّ وأن يحتوي جسدها على هذا الغشاء" (السعداوي، 1990، صفحة 22).

وبما أنّ النّص الأدبي عبارة عن مترجم لمختلف الأنساق الثقافية المتوارثة، نجد النّص الروائي الواسيني "حيزيا" من بين الأعمال الّتي احتضنت في كيانها نوعا من المسكوت عنه الّذي جاء نتيجة لاحترام هذه الأنساق وعدم اختراقها، وتبيّن ذلك في تعامل "عيشة" مع قضية ابنتها "حيزيا" الّتي وقعت في الرذيلة وحملت مع ابن عمها "سعيد" بطريقة غير شرعية، بحيث فضلت الصمت وعدم الخوض في الحديث عن هذا الموضوع لتجنب قتل ابنتها من طرف والدها "كانت ليلة سوداء على عائشة. كانت الوحيدة الّتي تعرف ثقل المأساة. ابنتها حامل: أوّل صرخة أنت ما عرفتيش تربين. زواجها...

فكرت أن تنزل حالا وتقوم بتهريب ابنتها لأن بقاءها يعني موتها. سيقتلونها...

ثم عدلت عن رأيها، يجب ألا يشك والدها في أيّ شيء، وإلا كارثة، كارثة حقيقية" (الأعرج، 2023، الصفحات 275-276).

يمكننا أن نفسر سكوت عيشة عن فضيحة حيزيا وحملها من عدّة زوايا تتعلق **بالأنساق الثقافية** السائدة في المجتمع الجزائري، ولعلّ أهمّها الشرف الّذي يعدّ من أهم القيم المحورية، صنّف من القيم الجماعية الّتي تتجاوز الفرد لتشمل الأسرة والعشيرة، ولهذا ينظر إلى حمل حيزيا على أنّه وصمة عار، وسكوت والدتها كان من باب احتواء الفضيحة والحفاظ على ما تبقى من سمعة وشرف العائلة، ولهذا بات النسق الاجتماعي "ينظر للمرأة نظرة دونية شهوانية، ترى أن وجودها في الحركة الاجتماعية يثير الفتنة، ويشجع على الانحلال" (فوغالي، 2002، الصفحات 10-11). فالأخطاء الّتي ترتكبها الفتاة جاءت نتيجة لانقيادها وراء شهواتها من دون التفكير في العواقب الّتي تنجرّ عن ذلك. كما نعلّل تستر عيشة عن ابنتها بعدم قدرتها على التصرف أمام السلطة الأبوية، وخوفا منها من ردة فعل والدها الّتي ربما ستكون اتفاقا ضمنيا أو علنيا على التعامل مع الوضع بطريقة لا تُبرز الفضيحة للعيان، لأنّ الفضيحة المتعلقة بالشرف في المجتمعات الأبوية تعود بالضرر على عائلة الضحية بالنبذ الاجتماعي. وعليه يفسر سكوت عيشة عن الفضيحة كاستجابة متجذرة بعمق الأنساق الثقافية للمجتمع الجزائري أين يلعب الشرف، الستر، الهيمنة الذكورية، وكذلك الخوف من النبذ الاجتماعي دورا محوريا في تشكيل سلوك الفرد في مثل هذه المواقف، فالمحظورات تصنف على أنّها موضوعات حساسة يُمنع المساس بها، وقضايا لا يجوز الخوض فيها، بحيث فرضت الجهات المنتفذة فكريّا حظر تداولها، خشية أن تسبب هذه القضايا في شقاق المجتمعات، خصوصا تلك الّتي تتباين في آرائها وتوجهاتها الفكرية. وعليه جاء تفجير الطاقة في شأن المحظورات من أولى خطوات فكّ القيود والسعي لفضح العقلية البدائية.

إنّ استحضار تقنية المسكوت عنه في البنية السَّرديَّة لرواية "حيزيا" لا ينفصل عن إرث طويل من التجارب الروائيَّة الجزائريَّة والعربيَّة، فقد تعامل العديد من الروائيِّين مع الصَّمت والحذف والإيحاء بوصفها أدوات فنية لا تقل أهميَّة عن السَّرد المباشر، ولعلّ ما يميّز واسيني الأعرج هو أنَّه لم يكتف بجعل المسكوت عنه فراغًا داخل النص، بل حوَّله إلى عنصر محفّز للخيال والتأويل، حيث يجد القارئ نفسه مضطرًّا إلى إعادة تركيب الأحداث وفق ما يُقال وما لا يُقال.

إنّ ما يفعله واسيني في "حيزيا" هو الجمع بين هذه الأبعاد كُلّها: السياسي، والاجتماعي، والوجداني. فالمسكوت عنه في الرواية يشتغل على مستويات متداخلة، من علاقة البطلة بأسرتها والمجتمع، إلى علاقتها بجسدها ورغباتها، وصولاً إلى صراعها مع سلطة الأب والتقاليد... وهذا التداخل منح النص كثافة دلاليَّة جعلته يتجاوز حدود الحكاية العاطفيَّة البسيطة، ليتحوّل إلى خطاب نقدي يفضح تناقضات المجتمع الجزائري.

ولعلّ أبرز ما يتّضح في البناء السّردي هو أنَّ الصَّمت لم يعد مُجرَّد غياب، بل حضورٌ مُضاعف يترك أثره في مسار الشَّخصيَّات وتطوُّر الأحداث. إنّ تقنية المسكوت عنه عند واسيني تُشبه "المرايا المكسورة"، حيث لا يظهر الواقع كاملاً، بل عبر شظايا وإشارات تتطلَّب من القارئ جهدًا لتجميعها؛ وهنا تكمن قوَّة الرواية، إذ تتحوَّل القراءة إلى فعل مشترك بين الكاتب والمتلقي، ممَّا يعكس نضج التجربة الروائيَّة الجزائريَّة وارتباطها العميق بأسئلة المجتمع.

2-المسكوت عنه في البناء الدلالي.

صنّفت الرواية ضمن الأنواع الأدبيّة الأكثر انفتاحا واتساعا لاحتواء قضايا شائكة ومعقّدة، والّتي تعتمد الأساليب الرافضة لسلطة المركز، بحيث مارست سياسة النفور من المركز واحتضان الهوامش بشتى أنواعها؛ ويتضح لنا من خلال النّص الروائي "أنّنا أمام حالة ثقافية فريدة ومتطورة في إتقانها للمعارضة، حيث تتخذ من المضمون النّصي وسيلة للإفصاح عن المكبوت، وعن معارضتها للنسق المهيمن" (الغذامي، 2005، صفحة 226). فالتعبير عن المسكوت عنه والإعلان عنه كان من بين القضايا الّتي تعرضت لها الرواية في الآونة الأخيرة، بعد أن كان سابقا الحديث عن المحظورات ممنوعا.

لقد كان الجنس من القضايا الحساسة في المجتمعات المحافظة، "وعلى الرغم من المكانة والبلبلة الّتي أخذها هذا الطابو إلاّ أنه يمثل المواضيع المخالفة لعاداتنا وتقاليدنا وحتى معتقداتنا. بالإضافة إلى أنّ هاته الأمور لا تتماشى مع الثقافة العربية ومن المعروف عن الشعوب العربية، ما هي إلا شعوب محافظة وملتزمة، وبالتالي فإنّ موضوع الجنس والعلاقات تدخل حيّز الأخلاق، وإنّ الحديث عن هذه الأمور ما هو إلاّ كسر القيم، والمبادئ الأخلاقية الّتي تربينا عليها". (درويش، د ت، صفحة 17). فالحديث عن الطابوهات كان من القضايا الحساسة خاصة في المجتمعات المحافظة الّتي تنبذ التصرفات اللاأخلاقية وترفضها، غير أنّ ذلك لم يمنع الأدباء من الاقبال على الكتابة فيها، ويعدّ طابو الجنس من الموضوعات الّتي نوقشت في العديد من الأعمال الإبداعية، ذلك أنّ "قضية الجنس من القضايا الّتي كانت ومازالت محورا مهما من المحاور الّتي حفلت بها الرواية والقصة القصيرة أيضا... منذ نشأته حتى كتابة آخر نتاج إبداعي من هذا النوع الأدبي، وما سيكتب مستقبلا، ما دام الجنس بنوعيه المشروع وغير المشروع _إذا صحّت التسمية_ واحدا من العوامل المؤثرة في شخصية الفرد والجماعة كذلك، ودوره الكبير في رسم الصورة الحقيقية لعلاقة الرجل بالمرأة على السّواء، باعتباره بارومترا لقياس مدى توازن المجتمع" (الشويلي، 2011، صفحة 11). فاهتمام الرّوائي بعرض هذه الأساليب المهمّشة والممنوعة جاء لدعم الانتفاضة ضدّ الضوابط الجنسية، وتعرية الواقع وفضح الجرائم الجنسية الّتي كانت فيها العديد من الفتيات ضحايا اغتصاب وأطفال غير شرعيين، وهذا نتيجة التحرّر الّذي منحه الشباب لأنفسهم، ورغبتهم في عيش حياتهم بكل حريّة من دون قيود وقوانين تمنعهم من ذلك، الأمر الّذي دفعهم إلى كسر الحواجز الدّينية والمجتمعية.

احتوت رواية "حيزيا" العديد من المقاطع الّتي تعرّض الكاتب فيها للحديث عن الجنس والعلاقة غير الشرعية، فواسيني اعتمد سرد القضايا المتعلقة بالجنس في عدّة مقاطع سردية نذكر منها:

"... جلست على ركبتيها. مد يده إلى شعرها. قرب وجهها نحوه. شعر بدفء شفتيها. كانتا ناعمتين منداتين كأن بهما عسل بلدي. ثم نظر إلى وجهها.

أرجوك ليس الآن. كل شيء فيّ يرتعش. أريدك أن تقولها لي وأنا بين ذراعيك...

ولو أنّ قبلة واحدة منك كانت تشفيني.

تعرف البارحة لم أنم. باينة نفكر فيك، ولو ما حشمت من سلطانة كنت جيت رقدت معك ودفّيتك حتى الصباح. نحب نرقد في حضنك" (الأعرج، 2023، الصفحات 190-191).

اتجه الكاتب إلى تعرية الواقع والغوص في الحديث عن الممنوعات، وذلك من خلال الإشارة إلى الإحساس الّذي ينتاب الرجل بمجرد ما تقترب منه المرأة، بحيث وصف شعوره وهو يتلمس خصلات شعرها، والنظرات الّتي يوزّعها على أعضاء جسم المرأة الّتي زادته انبهارا وجعلته يعترف لها بحبه، إضافة إلى ذلك أشار إلى رغبة المرأة في النوم في حضن الرجل من أجل إسعاده.

تعرض الكاتب أيضا من خلال نصه الروائي لظاهرة العادة السريّة عند البنت العزباء، فمناقشة موضوع الجنس وكلّ أمر يتعلق به في المجتمعات العربية عند المرأة يسبب الخجل والعار لها، ذلك أنّ العادة السريّة تصنف ضمن السلوكات غير اللائقة أو المحرمة مما يستدعي الصمت عن الفعلة وإخفائها. وورد ذلك في الرواية على لسان إحدى الشخصيات قائلة:

"... الرجل يدير واش يحب، والمرأة تظل ملفوفة في كاغد حتى يجي الأمير يحررها منه، وإذا ما جاش، حلها في يدها وأصابعها، وساعات الليل السوداء، وكتم الأنفاس من أجل تسريب لغليانها الجنسي. كل ليلة عندما تطفأ الأضواء يستيقظ الوحش الّذي لا تروضه إلا اليد الناعمة في انتظار الفارس الهمام" (الأعرج، 2023، صفحة 290).

أفصح المقطع عن الصراع النفسي، والمكبوتات الّتي تعاني على إثرها نساء المجتمعات المحافظة، الّتي تخضع للقوانين الصارمة من دون مناقشتها، الأمر الّذي أثّر عليهنّ وخلق فيهنّ مختلف العقد النفسيّة الّتي تدفع بهن للوقوع في المزالق بمختلف أنواعها، ف "الإنسان المكبوت ليس حقا بقادر على العمل الخلاق مثل الإنسان المشبع جنسيا، إذ إن الحرمان الجنسي يجعله في نفسية ووضعية فيزيولوجية معيقة لمثل العمل" (بوعلي، د ت، الصفحات 37-38). فالإعلان عن المكبوتات الّتي أثرت على الفرد وجعلته يمارس أشياء محرّمة وممنوعة كانت من باب التعبير عن الظّلم الّذي تتعرض له المرأة،

والضغوطات الّتي لم تفسر أسبابها ولم تكن رسالة صريحة من ناحية، ومن ناحية أخرى كانت نتيجة للتمرّد الّذي أعلنته بعض النساء اللّواتي يرغبن في تحقيق رغباتهنّ من دون مراعاة للقوانين الّتي سنّت في المجتمعات، وعليه "فالاختراق الكبير الّذي حققته الرواية العربية للمحظور الجنسي لا يعود إلى التحولات الّتي تشهدها المجتمعات العربية فقط، وإنما أيضا إلى وعي الفرد بذاته والتمسك بالحق في التعبير عن رغباته واستهامه" (بدر، 2011، صفحة 10). ولقد جاء الحديث عن المسكوت عنه جنسيا في مختلف الأعمال الروائية كظاهرة للتعبير عن التفتح الّذي عرفته المجتمعات المختلفة من ناحية، ومن ناحية أخرى برز لتعرية الواقع الاجتماعي وما يحدث فيه من تجاوزات على الصعد المختلفة، وإشارة إلى الانغلاق الثقافي الّذي تعاني منه المجتمعات المحافظة، والّذي أثر على الأفراد بشكل سلبي نظرا للمكبوتات الّتي ولّدت فيهم العديد من العقد النفسية.

إنّ الحديث عن المسكوت عنه في البناء الدلالي يكشف لنا كيف أنّ الصَّمت لا يعني غياب المعنى، بل يمثل أحيانًا أشدّ حضورًا من القول المباشر، فرواية حيزيا تؤكد أنّ الإيحاء والسكوت والالتفاف حول الفكرة قد يمنح النص طاقة دلالية أكبر ممَّا تمنحه التصريحات الصَّريحة. وهذا البعد يتَّضح في رواية حيزيا من خلال العلاقة المتوتِّرة بين البطلة والأسرة والمجتمع، حيثُ يصبح الصَّمت إستراتيجية للبقاء، ووسيلة للمقاومة أيضًا، فحيزيا، حين تتردَّد في الاعتراف أو تلتزم الصَّمت أمام والدتها، لا تمارس فقط فعل الإخفاء، بل تحاول أن تحمي نفسها من سلطة اجتماعيَّة لا ترحم، هذا الصَّمت، في بعده الدلالي، يُعيد إنتاج خطاب المجتمع بطريقة مغايرة: فما يخفيه النص يعرّي في النهاية التقاليد التي تسعى إلى إسكاته.

كما أنَّ إعادة صياغة الأسطورة الشَّعبيَّة بلغة معاصرة جعلت من المسكوت عنه أداة لإعادة قراءة التاريخ الشعبي، فقد كان مقتل حيزيا في الذاكرة الجماعيَّة حدثًا غامضًا تتضارب حوله الروايات، لكن واسيني الأعرج اختار أن يوظف الغموض ذاته كجزء من البناء الدلالي النص، وهنا يلتقي البعد الجمالي بالبعد الأنثروبولوجي، حيثُ تتقاطع القصَّة مع نسق القيم الجماعيَّة التي تجعل من الشَّرف والسُّمعة مفاهيم مقدسة لا تُمس.

إنّ هذا الاستخدام الواعي للمسكوت عنه يتيح لنا أن نفهم الرواية ليس فقط كبنية جمالية، بل كوثيقة اجتماعية تكشف آليات السلطة الذكورية، وهيمنة الأعراف، وخوف الأفراد من النبذ. وفي هذا السياق، يمكن القول إن المسكوت عنه يفتح النص على أبعاد رمزية تتجاوز حدود الحكاية، ليتحول إلى أداة نقدية قادرة على مساءلة المجتمع وكشف تناقضاته. وبهذا يصبح الصمت لغة أخرى، والدلالة الحقيقية للنص تكمن فيما لا يقال بقدر ما تكمن فيما يُقال.

3-وظيفة المسكوت عنه في تشكيل المعنى.

شغل المسكوت عنه حيّزا واسعا في النصّوص الروائية نتيجة للمقاصد الّتي يرجى تحقيها من ذلك؛ فهو _المسكوت عنه_ حسب محمد الشيباني "القول المسلوب لفظه ويترتب على هذا السلب عدة أمور تخص بصفة عامة تصور الحقيقة" (الشيباني، 2008، صفحة 21). فالرواية تحمل في طياتها العديد من الحقائق المضمرة الّتي يجب على القارئ كشفها وفهمها، لأنّ الصمت الّذي مارسه الكاتب في رصد هذه الحقائق كان بمثابة آلية سردية أسهمت في تشكيل المعنى على مستويات متعدّدة، تجاوزت ما هو مصرح به لتدعو القارئ من أجل المشاركة في بناء الدلالة.

أعاد الكاتب في النّص الروائي تركيب قصة "حيزيا" الشعبية المعروفة، غير أنّ الأسلوب الّذي طرح به القصة لم يكن سرديا مباشرا؛ بل بحث وغاص في الطبقات الخفية والأسرار المغمورة، ولقد تمظهرت وظيفة المسكوت عنه في الرواية من خلال كشف الحقائق الخفية وتفكيك الرواية السائدة، فقصة حيزيا في المخيال الشعبي عرفت بكونها قصة تراجيديا جمعت بين "حيزيا" وابن عمها "سعيد" والّتي كانت نهايتها وفاة حيزيا الّتي تشعبت الآراء في تأويل طريقة وفاتها، ولقد أشار الكاتب في الرواية إلى أنّ "حيزيا" قتلت ولم تمت موت طبيعي "... وما كادت تنتهي الجملة حتى تقيأت دفعة واحدة خيوطا صفراء كانت تنزل من فمها في شكل لعاب ثقيل. على الرغم من أنّها لم تأكل إلا القليل منذ الأيام الماضية. ثم بدأت ترتجف بسرعة، وأسنانها تصطك وجسدها يبرد. السائل الأصفر الّذي كان ينزل من فمها أصبح أكثر حمرة ودنة وسودا... سممها أولاد الحرام. قتلتها نساء بن قانة. كأس حليب الوفاء به سم عقرب سوداء" (الأعرج، 2023، صفحة 360). كشف الكاتب هنا عن أخذ بن قانة الثأر من بن ذواودة بطريقة غير مباشرة، حيث لمح للقضية بسرد الطريقة التراجيدية الّتي قتلت بها "حيزيا". وعليه فالمسكوت عنه يفكك الرواية السائدة ويعيد بناء المعنى التاريخي للقصة، محوّلا إياها من مجرد قصة حب إلى قضية تتداخل فيها الصراعات المختلفة. خاصة وأنّ زواج حيزيا من ابن بن قانة كان مرغما عليها ولم تكن موافقة عليه، فهي رضخت لأوامر والدها الّذي أراد أن يقضي على الخلاف الّذي كان بين القبيلتين بتزويجهم ابنته غصبا عنها، بالرغم من تقدّم ابن أخيه سعيد وأخواله لخطبة حيزيا إلا أنّه رفض ذلك بحكم أنّهما اخوة بالرضاعة، وقررّ زفّها عروسة لأهل بن قانة، وهو ما أشير إليه في الرواية على لسان حيزيا قائلة "... في داخلي أفرحني يا حنّا ربيحة، لكن والدي قرر الفصل بيننا. قال هيئي نفسك للزواج من عبد الغني من آل بن قانة وأنا تربيت على كرههم من والدي ومن محيطي. المشيخة تعمي والمصلحة قاتلة" (الأعرج، 2023، صفحة 300).

أسهمت الثنائيات الضديّة الّتي تأسست عليها بنية الرواية، والمتمثلة في رفض تزويج الوالد ابنته لابن أخيه بحجة أنّهما أخوين، وقرار زفّ ابنته عروسة لعدوّه كفدية لإطفاء نار الخلاف الّتي بينهما، وهي الفكرة الّتي أحالت إلى ثنائية أخرى

تتعلق بموت حيزيا، بحيث نجت من قتلها من طرف أهلها وسترها من الفضيحة الّتي وقعت فيها، لتقتل من طرف نساء بن قانة علانية في وسط جماعة نساء القبيلتين. وعليه فالرواية جمعت بين متناقضتين لتوضيح المعنى أكثر وتشكيل الدلالة النصية، فمن جهة تتحدث عن ضرورة حل الخلاف القائم بينهما، ومن جهة أخرى تتمحور حول تضخّم المشكل بين القبيلتين بحكم أنّ الثانية _بن قانة_ لجأت إلى الأولى _ذواودة_ بهدف الثأر والانتقام لا من أجل مناسبتهم وفكّ الحصار والخلاف بينهما. فالانتقال من فكرة إلى أخرى جعل القضية تتضح بالرغم من عدم التصريح بها مباشرة، فالانسجام الّذي تحقّق بين الأسلوب المباشر، وما يحمله من مضمرات جعلت القارئ يبحر في فكّ الرموز وتحليل الرسائل المشفرة، والّتي أسهمت في تكوين المعنى العام للنّص الروائي، وتعميق الدلالات المشكلة لأفكار النّص وخاصة الفكرة العامة المؤسسة للبناء الروائي كلّه من ناحية المضامين الّتي احتوتها.

ولقد سلطت الرواية الضوء على تقنية الصمت الّتي تمارسها مختلف المجتمعات المتحفظة من أجل التستر على الحقائق وعدم إظهارها للعلن، خاصة تلك الّتي تتعلّق بالشرف والفضيحة أو العيب، وهو ما تبيّن لنا في قضية مقتل حيزيا الّتي صمت عليها أهل القبيلة خوفا من كشف ما يهدد سمعتها أو مصالحها، ولهذا يمكننا القول إن توظيف الكاتب للمسكوت عنه في مختلف مباحث الرواية ليس مجرد نقص المعلومة، بل كان قصده من ذلك إخفاء الواقع وتشكيل وعي جماعي، فالصمت يعكس سلطة المجتمع وقدرته على طمس الحقائق وإعادة صياغة التاريخ.

عمد الرّوائي من خلال روايته "حيزيا" إلى تشريح آليات التستر الاجتماعي، ووضح كيف تمكن الصمت والخوف والعرف من طمس الحقائق وتشويه التاريخ، وكيف يمكن أن يصبح المسكوت عنه الصوت الحقيقي للواقع الّذي لا يريد المجتمع مواجهته؛ بحيث اتّضح لنا من مختلف الأفكار والآراء الّتي تعرّض لها الكاتب في عمله الروائي "إنّنا أمام حالة ثقافية فريدة ومتطورة في إتقانها للمعارضة، حيث تتخذ من المضمون النّصي وسيلة للإفصاح عن المكبوت وعن معارضتها للنسق المهيمن" (الغذامي، 2005، صفحة 226). فالكاتب حاول التعبير عن الصراعات الّتي تكبل الأفراد وجعلت نفسيتهم مثقلة بالمكبوتات الّتي أثّرت على سلوكياتهم وعلاقاتها في الحياة، كما أنّ النّص الروائي جاء كوجهة نظر حول القيود والقوانين الّتي فرضتها الجماعة، والّتي أثرت على الفرد بصفة خاصة والمجتمع بصفة عامة؛ وهو ما دلّ عليه تعدّد الأصوات الّتي استنجد بها الكاتب في الرواية من أجل الكشف عن تعقيدات الواقع الّتي يحاول النسق المهيمن تبسيطها أو إخفاءها.

إذا كانت وظائف المسكوت عنه قد تجلت في أبعاد جماليَّة وفكريَّة واجتماعيَّة داخل رواية حيزيا، فإنّ أهمِّيتها تتضاعف عند النظر إليها من زاوية التلقي، فالنص لا يكتمل إلَّا بوجود قارئ يعيد بناء ما حُذف أو ما تم السكوت عنه،

وهنا تكمن جماليَّة التلقي، حيثُ يتحوَّل القارئ من متلق سلبي إلى مشارك فاعل في إنتاج المعنى. إنَّ هذا التواطؤ بين الكاتب والقارئ عبر مناطق الصمت، هو ما يجعل الرواية فضاء مفتوحًا على قراءات متعددة.

لقد نجح واسيني الأعرج في أن يجعل من "المسكوت عنه" أداة لبناء علاقة جديدة بين النص والمتلقي، علاقة قائمة على التأويل والمساءلة، فكلّ حوار ناقص، وكلّ صمت طويل، وكلّ تلميح غامض، يتحوَّل إلى دعوة مفتوحة للقارئ كي يملأ الفراغات، ويكشف المغيَّب، ويعيد تشكيل الحكاية. وهكذا يصبح النص الروائي أشبه بلغز يُعيد القارئ تركيب أجزائه ليصل إلى المعنى العميق. كما أنَّ وظيفة المسكوت عنه تتجلَّى أيضًا في قدرته على مساءلة القيم السائدة. فالرواية، من خلال صمت الشخصيات عن قضايا مثل الشرف أو العلاقات السرية، لا تنقل الواقع فحسب، بل تعريه وتكشف تناقضاته.

بناءً على ذلك، يمكن القول إن وظيفة المسكوت عنه في رواية حيزيا لا تقف عند حدود الجمالية الفنية، بل تمتد لتشمل بُعدًا نقديًا يفتح النقاش حول موقع المرأة في المجتمع، وحدود السلطة الأبوية، والعلاقة بين الهوية الفردية والجماعية. إنَّه خطاب مزدوج: يروي ويصمت في الوقت نفسه، يبوح ويكتم، لكنه في النهاية يدفع القارئ إلى مساءلة ذاته ومجتمعه.

خاتمة.

تصل مسيرة البحث في هذا الموضوع نهايتها، حيث تم التوصل إلى عدد من النتائج الّتي نعرضها فيما يأتي:

- ✓ أضحت قضية المسكوت عنه من الظواهر الّتي أسالت حبر العديد من الكتّاب، وهذا نظرا لأهميتها ومدى تأثيرها في الفرد والمجتمع.
- ✓ تعدّدت أشكال المسكوت عنه الّتي استعان بها واسيني في نصّه الروائي، مما دلّ على عمق القضية المتناولة وعلاقتها بما هو سائد في المجتمع، وأهمية إعادة النظر في المسائل الّتي أجحفت بعض الأفراد على حساب غيرهم.
- ✓ لم يكتف واسيني الأعرج بالتعبير عن المكبوتات الّتي طالت على الأفراد وأثرت عليهم، بل وظّف المسكوت عنه كأداة فاعلة للكشف، والتمرّد على ما هو سائد ومسيطر مقدّما رؤية نقدية عميقة للواقع.
- ✓ لقد أظهرت هذه الدِّراسة أنّ تقنية المسكوت عنه ليست عنصرًا ثانويًّا أو مُجرَّد خيار جمالي، بل هي ركيزة أساسيَّة في بنية الرواية المعاصرة، تسمح بخلق خطاب مزدوج: ظاهر وباطن، ملفوظ ومضمر. وهذا ما يمنح النص ثراءً دلاليًا وقدرة على الاستمرار في إنتاج معانٍ جديدة مع كل قراءة.

- ✓ إنّ توظيف واسيني الأعرج للمسكوت عنه في حيزيا قد أعاد تشكيل الأسطورة الشَّعبيَّة في ضوء أسئلة الحاضر، وهو ما جعل الرواية تتجاوز حدود الحكاية التراثيَّة إلى نص نقدي يفضح تناقضات المجتمع الجزائري، فالصَّمت في الرواية ليس هروبًا من المواجهة، بل هو مواجهة من نوع آخر، مواجهة تزعزع اليقينيات وتدفع المتلقي إلى إعادة النظر في المسلّمات.
- ✓ كما تبيّن أنَّ المسكوت عنه يُؤدّي وظيفة أنثروبولوجية، إذ يكشف عن علاقة الفرد بالجماعة، وعن التوتر القائم بين الهوية الفرديَّة والقيم الجماعيَّة، فصمت حيزيا، وترددها بين البوح والكتمان، يعكس صراعًا أعمق بين الذات والسُّلطة، وبين الرغبة والواجب، وهذا يضع الرِّواية في قلب النقاش حول المرأة والحرية والذَّاكرة الجماعيَّة.
- ✓ من جهة أخرى، أكَّدت الدِّراسة أنّ هذه التقنية تمنح النص قدرة على مقاومة الرقابة الاجتماعيَّة والسِّياسيَّة، لأنَّ ما لا يمكن قوله صراحة يُقال عبر الصَّمت أو التلميح أو الإيحاء؛ وبذلك يصبح الأدب وسيلة للتعبير عن القضايا المسكوت عنها، لا بالتحدي المباشر، بل بالمراوغة الفنية التي تتيح للنص البقاء والاستمرار.
- ✓ وأخيرًا، يمكن القول إنّ توظيف المسكوت عنه في رواية حيزيا يفتح آفاقًا جديدة للبحث النقدي، خصوصًا في الأدب الجزائري المعاصر. فهو يتيح دراسة العلاقة بين الأدب والسلطة، بين النص والمجتمع، وبين الذاكرة الفردية والجماعيَّة، وهو ما يجعل هذه الدِّراسة لبنة أولى يمكن أن تُبنى عليها مقاربات أوسع، تُعنى بالصَّمت بوصفه خطابًا مضادًا يوازي الكلام ويكمله.

قائمة المراجع:

1. أنور بدر . (2011). المحظورات في الكتابة الروائية العربية. د ب: القدس العربي.
2. باديس فوغالي. (2002). التجربة القصصية النسائية في الجزائر. الجزائر: دار هومة.
3. حسام الدين دريوش. (دت). في النّقد والطابو الجنسي. الرباط: أكدال المملكة المغربية.
4. داود سليمان الشويلي. (2011). الجنس في الرواية العراقية. العراق: د د.
5. عبد المالك مرتاض. (د ت). في نظرية الرواية _بحث في تقنيات السرد_. بيروت لبنان: عالم المعرفة.
6. الغذامي, عبد الله محمد الغذامي. (2005). النقد الثقافي _قراءة في الأنساق الثقافية_. بيروت لبنان: المركز الثقافي العربي.
7. محمد الشيباني . (2008). المسكوت عنه. صفاقس: د د.

8. نوال السعداوي. (1990). المرأة والجنس. الإسكندرية: دار مطابع المستقبل.

9. واسيني الأعرج. . (2023) حيزيا _زفرة الغزالة الذبيحة كما روتها لالة ميرا. الجزائر: دار خيال.

10. ياسين بوعلي. (د ت). الثالوث المحرم _دراسات في الدين والجنس والصراع الطبقي _. بيروت لبنان: دار الطليعة.